تقرير

إسرائيل: الاعتراض السوري لم يكن الأول... لكنّنا فضّلنا الصمت

يحيى دبوق

ردّ فعل إسرائيل على تصدي الدفاعات الجوية السورية لطائراتها، بعد خرقها المجال الجوي السوري من الحدود اللبنانية، جاء استثنائياً هذه المرة، وذا دلالات. ردّ فعل لا يتعلق بالرد المادي فحسب بإطلاق صاروخ اعتراضي، بل جراء سلسلة إجراءات واعتراضات سورية في الفترة الاخيرة، عمدت إسرائيل إلى إخفائها، وهي تهدف، بحسب القراءة الإسرائيلية، إلى رسم معادلات جديدة في وجه الخروق الإسرائيلية للأجواء السورية واللبنانية.

التعليقات الإسرائيلية، أمس، انشغلت في عرض تقديرات المؤسسة الامنية ودوائر القرار فيها. وهي أجمعت على أن الرئيس السوري بشار الاسد يمهّد لمرحلة ما بعد هزيمة تنظيم «داعش»، وبالتالي يتطلع إلى مرحلة ما بعد تحرر الجيش السوري من جزء كبير من أعبائه الميدانية. المعادلة الجديدة تنص على التصدي للخروق الاسرائيلية، بما يشمل العمق الحيوي للمجال الجوي السوري، إلى داخل الأجواء اللبنانية.

إحدى أهم الدلالات التي توقفت عندها تل أبيب هي أن إطلاق الصاروخ الاعتراضي جاء «من دون مبرر»: لا خرق للأجواء السورية، ولا طلعات قتالية، والطائرات الإسرائيلية كانت في مهمة «روتينية» في الأجواء اللبنانية! ما يعني أن قرار التصدي وإطلاق الصاروخ جاء عن سابق تصميم، وهو متخذ من قبل القيادة السورية ضمن خطة مدروسة مسبقاً لفرض معادلات وقواعد اشتباك جديدة، لا تعيد الاوضاع وقواعد الاشتباك إلى ما كانت عليه قبل الحرب السورية، بل أيضاً إلى منع إسرائيل من خرق الاجواء اللبنانية، الأمر الذي يعدّ، من جهة تل أبيب، اعتداءً على «حق طبيعي» لها لا يمكنها أن تفرّط فيه، وبحسب تعبيرات إسرائيلية: «التحليق فوق لبنان هو ذخر استراتيجي، وليس مجرد طلعات استخبارية أو عملياتية».

اللافت في التسريبات الإسرائيلية، أمس، هو الإقرار بأن الصاروخ السوري لم يكن إلا «رأس الجليد» وآخر اعتراض سوري ضمن سلسلة اعتراضات في الفترة الاخيرة، فضّلت إسرائيل أن لا تكشف عنها منعاً من إحراجها، ما يعني أن إسرائيل باتت أمام استحقاق داهم ووشيك، وإذا تواصل من قبل دمشق، ولم يجر التعامل معه بحزم وتصميم، فقد يوصل المعادلة إلى نتائج وخيمة من ناحية إسرائيل.

وبحسب صحيفة «يديعوت أحرونوت»، في الاشهر الاخيرة اصطدمت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي مرات عدة بنيران الدفاعات السورية، إلا أن إسرائيل لم تنشر شيئاً عن هذه الاحداث، و«ربما يعود ذلك الى السياسة الامنية، أو ربما لأن الظروف لم تنشأ للرد على هجمات الدفاعات السورية». وتضيف المصادر: «بدلاً من ذلك، أرسلت إسرائيل تحذيرات الى الجانب السوري، وكانت تحذيرات صريحة. لكن اتضح أن السوريين لم يتعاملوا معها بجدية، وفضّلوا تجاهلها».

صحيفة «معاريف» نقلت تقديرات وتساؤلات المؤسسة الأمنية في إسرائيل، لكن بكلمات أكثر مباشرة ووضوحاً من «يديعوت أحرونوت»، مع كثير من عدم اليقين. بحسب الصحيفة، «الواضح أن الأسد يعمل على رسم خط أحمر سوري جديد، يمنع بموجبه سلاح الجو (الإسرائيلي) من العمل في الأجواء اللبنانية، لكن السؤال الأهم هو (تضيف «معاريف»): هل فعل ذلك بمبادرة منه، من دون تنسيق مع إيران وروسيا، أو بالتنسيق معهما، والأخطر من ذلك، هل عمد الى التصدي بتوجيه منهما؟».

> خط أحمر سوري يمنع سلاح الجو الإسرائيلي من العمل في الأجواء اللبنانية؟

الأسئلة الثلاثة تحمل في طيّاتها أرجحية مختلفة من ناحية تل أبيب. وكلٌ منها يفسر الإجراءات السورية في اتجاهات متفاوتة، وإن كانت جميعها تصبّ في هدف واحد: تقليص «حرية عمل» سلاح الجو الإسرائيلي. مع ذلك، الأسئلة الثلاثة التي تختلف في الظاهر، تعدّ في الواقع متصلة وعضوية، وتحديداً إن تدحرج الرد والرد المضاد إلى سلسلة ردود تصاعدية، ما يدفع بلا جدال الجهات الثلاث: سوريا وإيران وروسيا، إلى التموقع في خندق واحد لمنع إسرائيل من مواصلة اعتداءاتها، وهذه هي أهم الأسئلة الإسرائيلية التي لم يكشف عنها، ومن شأنها تفسير تواضع تل أبيب في ردّها على الرد السوري.

جاء الرد الإسرائيلي على الصاروخ الاعتراضي سريعاً نتيجة لضرورات تظهير الحزم والتصميم الإسرائيليين في وجه المخطط السوري، وتحديداً ما يتعلق بالأجواء اللبنانية، وفي الوقت نفسه «حكيماً جداً» بلا مخاطرة في الدفع إلى ردّ سوري مضاد، يجري في أعقابه تدخل الحليف بفئتيه: الإيراني والروسي، وذلك عبر استهداف مكوّن من مكوّنات المنظومة الدفاعية السورية (الرادار) بحيث تخرج المنظومة مؤقتاً من الخدمة، من دون تدميرها، ومن دون إلحاق إصابات بشرية في كادرها. الرسالة السورية وصلت. بل يتبيّن أنها وصلت بشكل جيد جداً، مع فهم وإدراك لأبعادها ومراميها، وأيضاً لإمكاناتها الواقعية الفعلية في تحقيق أهدافها. ورغم أن الصاروخ الاعتراضي السوري لن ينهي الخروق الإسرائيلية، لكنه مؤشر مقلق جداً لتل أبيب، خاصة أنه ضمن قرار وسلسلة ردود سورية، من شأنها أن تشغل إسرائيل في البحث عن إجابات عن فرضيات غير نظرية لمرحلة ما بعد انتصار الدولة السورية وحلفائها، وتحديداً ما يتعلق بقدرة الجيش السوري على المناورة في مرحلة تخفيف الأعباء الميدانية عنه، ما بعد إنهاء تنظيم «داعش».

الصاروخ السوري لن ينهي الخروقات لكنه مؤشر مقلق جدا لتل ابيب (أ ف ب)

آخر اجتماع عقدته اللجنة، بعد أن تحوّلت الحماسة إلى برودة غير مفهومة. وفي حين كان من المفترض أن تعقد اللجنة اجتماعها أمس، بعد إبلاغ الوزراء المعنيين بالموعد، تأجلت الجلسة بحجة تزامنها مع جلسة مجلس النوّاب، من دون أن يحدّد موعد لاحق لها.
(الأخبار)

تقرير

جريمة زقاق البلاط: القتل السهل بين «عالمَين»

رحيل دندش

الزاروب الصغير الذي «تنزرك» داخله أبنية قديمة، يطل مدخله على مبنى مجلس شورى الدولة ومبنى الإسكوا التابع للأمم المتحدة. «الرينغ»، الأوتوستراد السريع، يفصل بين المكانين، بل بين «عالَمين». في الزاروب الصغير، الذي يتفرع من زقاق البلاط، حدثت الجريمة. الحي هادئ تماماً. لا شيء أمس كان يدل على أن جريمة حدثت في الصباح. لا أصوات ولا صخب، رغم زحمة المهتمين: كاميرات التلفزيونات، سيارة تابعة لقوى الأمن الداخلي، وأخرى للدفاع المدني تعمل على إزالة آثار الدماء. كان الجيران يتحدثون بشيء من الذهول والاستغراب، ويدلون بما رأوه للصحافة.

تقول القصة: الساعة السادسة إلا ثلثاً من صباح أمس، خرج علي ي. (14 عاماً) حاملاً بندقية صيد «أوتوماتيك» ونزل راكضاً من منزله في الطبقة الرابعة. لحقه والده (محمد ي.) محاولاً تجريده من السلاح. استدار الفتى نحو والده، وأطلق عليه النار، فأرداه على درج المبنى. صادف رجلاً (سوري الجنسية) في طريقه إلى عمله فأرداه قتيلاً هو الآخر. راح يصرخ بأعلى صوته: «اللي بيطلع عالطريق رح اقتلو». ركض إلى المبنى المقابل. كان الجيران قد خرجوا من بيوتهم ليستطلعوا الأمر، ومنهم الناطور منصور أحمد عبد السلام المعروف بـ«أبو أحمد» (وهو سوري الجنسية أيضاً) وزوجته، فأطلق النار عليه. مات «أبو أحمد» على الفور، فيما صعدت زوجته أدراج المبنى مذعورةً، فلحقها إلى الطبقة الثالثة، وأطلق النار عليها فأصابها في ذراعها (حالتها «مستقرة نسبياً»). بعد ذلك، وجد علي نفسه في «المنوَر»، في الطبقة الثالثة. لمح 3 شبان من آل شهاب، يقفون على شرفة منزلهم يستطلعون ما يجري، فأطلق النار عليهم هم أيضاً، وأصابهم ثلاثتهم: في العينين وفي الذراع، وأحدهم لا يزال في حالٍ حرجة. أخيراً، نزل إلى الشارع. وهنا، أوقفه الجيران.

أسباب الجريمة غير معروفة ومتضاربة. سكان الحيّ يجمعون على أن علي شاب خلوق وهادئ. يمر في الحي، يسلّم على الجميع، وعائلته «أوادم ما بيطلع حِسّهن». لكن في النهاية «البيوت أسرار». الوالد كان يعمل سائقاً عمومياً، أما علي فغير متعلم. يعمل، لكن أحداً لا يعرف طبيعة عمله. العائلة فقيرة، وهذا مؤكد، تقيم في منزل بـ«الأجار القديم». لكن، في مقابل «تكتم» سكان الحيّ وذهولهم، يلفت مصدر أمني إلى وقوع خلافات بين والد المشتبه فيه ووالدته، قبل الحادثة، ويرجح أن يكون لذلك «دور ما» في الجريمة، من دون أن يدلي بأي معلومات أخرى، كي «لا نستبق التحقيقات». المشتبه فيه قاصر، وينظر من بيته الفقير، كل يوم، إلى «العالم الآخر» ما «بعد الرينغ». وهو وعائلته، معاً، ضحية للنظام، وأيضاً للإعلام، الذي نشر صور الضحايا ـ كما درجت العادة ـ من دون مراعاة أو احترام لخصوصية الضحايا. وطبعاً، نشر اسم المشتبه فيهِ، علماً بأنه قاصر.

مسؤول حزبي في المنطقة، وهو قريب الإخوة شهاب الذين أصيبوا بإطلاق النار، أكد «أننا لا نعرف شيئاً عما حدث»، وأن «عائلة علي محترمة، ولا يجب تلفيق القصص حولها كما يحصل في الإعلام لمزيد من الإثارة». فيما يقول جار العائلة، الحاج سعيد بدران، إن ما حدث «سببه الفقر والتعتير».

الجرائم تتكاثر، لكن هذه المرة تترك وقعاً مختلفاً، لأن المشتبه فيه قاصر. المجتمع يغلي. مجتمع ينوء تحت أعباء اقتصادية ستخلق ظروفاً قد تجرد الإنسان من إنسانيته. ربما علينا أن نعيد رسم المشهد. علي يعيش في حي بائس يفتقر الى شروط الحياة الطبيعية. إنه فقير من عائلة فقيرة. وربما هناك خلافات. هذا لا يعني أن الفقراء مجرمون. المجرمون ليسوا الذين يطلقون النار فقط. كان علي يكبر وهو يرى، في مقابله تماماً، المباني الفاخرة تكبر بدورها، بينما يبقى الحيّ الذي يقيم فيه صغيراً ومهمّشاً. هذه ليست «محاولة تبرير»، لكن علينا أن لا ننسى أن جريمة أمس، وقعت على بعد أمتار من السرايا الحكومية، وأن الجرائم تتكاثر.